

## قصة حفر زمزم ونذر عبد المطلب - من البئر إلى اليتيم المبارك

### البداية: الرؤيا المقدسة

في ليلة هادئة في مكة، نام عبد المطلب في الحجر بجانب الكعبة المشرفة. وفجأة، ظهر له في المنام شخص يأمره: "احفر طيبة!" استيقظ عبد المطلب مذهولاً، لكنه لم يفهم المعنى.

في الليلة التالية، عاد الحلم: "احفر برة!" وفي الثالثة: "احفر المذنونة!" وأخيراً في الليلة الرابعة: "احفر زمزم!"

سأل عبد المطلب: "وما زمزم؟"

فأجابه الصوت: "لا تتزف أبداً ولا تُذم، تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفرت والدم، عند نُقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل."

### الصراع: حفر زمزم ومعارضة قريش

صباح اليوم التالي، انطلق عبد المطلب مع ابنه الوحيد الحارث، حاملاً معوله. وجد المكان المحدد - بين صنمي إساف ونائلة - حيث كان الغراب ينقر عند قرية النمل تماماً كما وُصف له.

بدأ الحفر، وما إن ظهرت علامات البئر حتى هرع قريش إليه غاضبة: "يا عبد المطلب! هذه بئر أبينا إسماعيل، لنا فيها حق! أشركنا معك!"

رفض عبد المطلب بحزم: "هذا أمر خُصصت به دونكم!"

### الرحلة الخطيرة: معجزة الماء في الصحراء

اشتد الخلاف، فاتفقوا على التحكيم عند كاهنة بني سعد هذيم في الشام. انطلقت القافلة عبر الصحراء،

لكن الكارثة حدثت - نفذ الماء في وسط الفلاة القاحلة!

رفضت القبائل الأخرى مساعدة عبد المطلب وأصحابه. في لحظة يأس مطلق، اقترح عبد المطلب أن يحفر كل رجل قبره بنفسه، قائلاً بحكمة مؤلمة: "ضياح رجل واحد أيسر من ضياح ركب جميعاً".

لكن عبد المطلب لم يستسلم للموت. دعا أصحابه للمحاولة الأخيرة: "والله إن إلقاءنا بأيدينا للموت لعجز! عسى الله أن يرزقنا ماء!"

ركب عبد المطلب راحلته، وبمجرد أن تحركت، انفجرت من تحت خُفها عين ماء عذب صافٍ! كبر عبد المطلب وأصحابه، شربوا حتى ارتووا.

ثم نادى القبائل الأخرى بكرم عربي أصيل: "هلموا إلى الماء! فقد سقانا الله!"  
شاهدت قريش المعجزة، فأعلنوا خاضعين: "قد قُضي لك علينا يا عبد المطلب! والله لا نخاصمك في زمزم أبداً!"

### اكتشاف الكنوز والنذر المصيري

عاد عبد المطلب منتصراً، وأكمل حفر زمزم. اكتشف فيها كنوزاً عظيمة: غزالين من ذهب وأسيافاً وأدرعاً. صنع من الأسياف باباً للكعبة، وزينه بالغزالين الذهبيين.

مع تزايد شهرة عبد المطلب وقوته، نذر نذراً مصيرياً: "لئن وُلد لي عشرة أبناء وبلغوا معي حتى يمنعوني، لأنحرن أحدهم لله عند الكعبة!"

### المحنة الكبرى: القرعة الأليمة

مرت السنوات، وأنجب عشرة أبناء. حان وقت الوفاء بالنذر. في لحظة مشحونة بالتوتر، أجريت القرعة بالقдах السبعة أمام صنم هُبل.

خرج القдах على... عبد الله! أصغر الأبناء وأحبهم إلى قلب عبد المطلب!

أخذ عبد المطلب ابنه والسكين، لكن قريش هبّت واقفة: "والله لا تذبحه أبداً!"

### الحل الإلهي: الفداء المنوي

بعد رحلة للتحكيم، أشارت العرافة بحل رحيم: يقارعون بين عبد الله وعشر من الإبل، فإن خرجت على عبد الله يزيدون عشراً حتى يرضى الله.

استمروا في الزيادة... عشرون... ثلاثون... أربعون... حتى بلغت مئة ناقة! وأخيراً، خرجت القرعة على الإبل ثلاث مرات متتالية. نُحرت المئة ناقة، وتُركت للناس والوحوش.

### الزواج المبارك ونور النبوة

تزوج عبد الله بعدها من آمنة بنت وهب، أشرف فتاة في قريش. وقد روت امرأة أنها رأت نوراً في وجه عبد الله وعرضت عليه الزواج بمئة ناقة، لكنه رفض طاعة لأبيه.

دخل عبد الله بآمنة، فحملت بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم. وحين لقي المرأة مرة أخرى، قالت له: "فارقك النور الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليوم حاجة."

رأت آمنة في منامها أنها أمرت: "إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وُلد فقولِي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سميه محمداً."

### المأساة الأولى: موت الأب

في خضم هذه البركات، حدثت المأساة الأولى المؤلمة: توفي عبد الله بن عبد المطلب وآمنة ما زالت حاملاً بالنبي!

فقد الطفل المبارك أباه قبل أن يراه، وولد يتيماً في عالم قاس لا يرحم الضعفاء.

### الولادة المباركة والطفولة

وُلد محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين في ربيع الأول، عام الفيل. أرسلت آمنة إلى عبد المطلب: "قد وُلد لك غلام!" فأخذه جده إلى الكعبة، ودعا الله شاكرًا، ثم التمس له المراضع.

أرضع النبي عند حليلة السعدية من بني سعد بن بكر، وشهدت بركات عجيبة: امتلأ ثديها باللبن، وحفلت ناقتها، وأسرعت أتانها العجفاء، وانتشر الخير في أرضهم الجذباء.

لكن بعد سنتين، شهدت حليلة حدثاً مذهلاً: جاء ملكان بثياب بيضاء، فشقا صدر الطفل، وأخرجوا منه علة سوداء، وغسلا قلبه بالثلج، ووزناه بأمنته فوزنها جميعاً!

### المأساة الثانية: موت الأم

خافت حليلة على الطفل، فردته إلى أمه آمنة. عاش النبي مع أمه الحنون ست سنوات مليئة بالحب والرعاية.

لكن القدر كان يخفي مأساة أخرى مدمرة...

ذات يوم، قررت آمنة اصطحاب ابنها لزيارة أخواله من بني النجار في المدينة. قضوا أياماً سعيدة، لكن في طريق العودة إلى مكة، مرضت آمنة بشدة.

في مكان يُسمى الأبواء، بين مكة والمدينة، توفيت آمنة بنت وهب، وهي تنظر إلى وجه ابنها الصغير للمرة الأخيرة.

فقد محمد صلى الله عليه وسلم أمه وهو ابن ست سنوات فقط، ليصبح يتيماً كاملاً في عالم لا يرحم اليتامى.

رحمة الجد وحب لا ينتهي

عاد الطفل اليتيم إلى مكة مع أم أيمن، خادمة أمه المخلصة، ليجد في جده عبد المطلب أباً حنوناً وحضناً دافئاً.

كان عبد المطلب يُوضع له فراش في ظل الكعبة، لا يجرو أحد من أبنائه على الجلوس عليه إجلالاً له. لكن الطفل محمد كان يأتي ويجلس عليه مباشرة!

حين يحاول العمومة منعه، كان الجد الحكيم يقول بحنان: "دعوا ابني، فوالله إن له لشأناً!" ثم يجلسه معه ويمسح ظهره بيده، وقلبه يفيض بحب لا يوصف لهذا الحفيد اليتيم.

### الخاتمة: من اليتيم إلى العظمة

هكذا نشأ أعظم إنسان في التاريخ من رحم المعجزات والمآسي، من بئر زمزم المباركة إلى اليتيم المؤلم، محاطاً بعناية إلهية لم تتركه يوماً، ومُعَدّاً لحمل أعظم رسالة عرفت البشرية.

إن قصة النبي تعلمنا أن اليتيم ليس نقمة، بل قد يكون بداية العظمة، وأن الله يعوض الصابرين عن كل ما فقدوه بما هو أعظم وأجمل.

---

### الدروس المستفادة:

- قوة الإيمان والثقة بالله في المحن
- اليتيم لا يمنع العظمة، بل قد يكون طريقاً إليها
- العناية الإلهية تحيط بأولياء الله في كل الظروف
- البركة تأتي مع الطاعة والتقوى
- الحب والحنان يمكن أن يعوضا فقدان الوالدين